خصائص ابن العميد وابن عباد في الأدب العربي "دراسة مقارنة"

طالب الدكتوراه محمد محمودي
mahmoodi_mohammad13@yahoo.com
الأستاذ المساعد الدكتور محمد جعفري (المشرف)
d.m.jafari92@gmail.com
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة آزاد كاشمر ـ كليه العلوم الإنسانية

Features of Ibn Amid and Ibn Ebad in Arabic literature and comparing them with each other

PHD student Mohammad Mahmoudi
Dr. Mohammad Jaafari (Supervisor)
Islamic Republic of Iran
Kashmar Azad University - Faculty of Humanities

الملخص:

في القرن الرابع للهجرة الذي كان متزامنا مع حكم البويهيين و فترة إزدهار العلم، أدي حبهم العلم و الادب إلى إختيار الوزراء العالمين والمستاهلين لإدارة البلاد. إن لوجود الوزيرين المشهورين والعالمين كإبن العميد وابن عباد في هذه الفترة أهمية بالغة.

إن إبن العميد من أعظم الشخصيات البارزة في القرن الرابع للهجرة. إنه كان رئيسا لديوان الرسائل فضلا عن الجيش وكان كثير من الحملات والفتوحات تحت قيادته. في الواقع كان صاحب القلم والسيف. له منهج خاص في نقد الشعر وكان استاذا في النحو وعلم الاشتقاق والعروض. ان مكانة ابن العميد المرموقة كانت في كتابته اكثر من أي شي آخر ويعتبرونه استاذا فريدا في الكتابة والترسل ولقب بجاحظ الثاني. وهناك وزير آخر اسمه ابن عباد وكان عالما ومحبا للعلم بنحو كان لديه آراء في مختلف العلوم. بالرغم من أنه كان ايرانيا ولغته كانت فارسيا الا انه تعلم الادب العربي بشكل كامل ويتكلم ويكتب باللغة العربية وكان لديه رغبة شديدة في تعليم هذه اللغة و يحاول ان يتكلم مع الآخرين بهذه اللغة.

وقد حاولنا في هذا المقال ان نقدم شيئا عن شخصياتهما ودورهما في اكتساب العلم و تطبيقه بشكل صحيح وكذلك خدماتهما القيمة للأدب العربي لاولئك الذين هم على اطلاع من العلوم العربية و الراغبين بالعلم والخدمة.

الكلمات المفتاحية: ابن العميد، ابن العباد، خصائص، الادب العربط، العلم، الأثر.

Abstract:-

In the 4th century AH, which coincided with the rule of Al-Boyah and the flourishing period of science and knowledge, interesting in literature and knowledge with Al-Boyah led to the appointment of ministers who were competent and scientist to run the country. The presence of two well-known and renowned ministers such as Ibn 'Amid and Ibn' Ebad is of great significance during this period. Ibn Amid is one of the great and names of the fourth century AH. In addition to the head of the Division, he was also the owner of Divan Resalat and many of the wars and conquests were commanded by him. In fact, he owned the pen and the sword. He was a professor in the syntax and derivation science, and he had a particular method in criticizing poetry. The greatness of Ibn'Amid's position was more than anything else in writing, and in his writing and correspondence he was considered an absolute master and he was entitled to Jahez Sani. Another minister, Ibn Ebad was a scientist and interesting in learning knowledge, so he was an authority in the different sciences. Though Ibn Ebad was Persian but learned Arabic literature completely in a way that he spoke and wrote in Arabic, he had a keen interest in learning Arabic and recommended others spoke in the language. In this article, we have tried to introduce the characters and active roles of these two persons in acquiring knowledge and applying them correctly, as well as their valuable services to Arabic literature for those who are familiar with Arabic sciences and who are keen on learning science and providing service.

Keywords: Ibn Amid, Ibn Abad, Character, Arabic Literature, Science, Impact

المقدمة:

الحمد والثناء لله الذي فطر الإنسان بافضل وأكمل وجه لتكون خلقته الهادفة بشكلها الحالي ليتيسر للإنسان بلوغ الاهداف والبرامج المعدة له لطاعة الله وخلفائه على الأرض. كانت العديد من العوامل لها الدور المؤثر في تكوين الحضارة الإسلامية وواحدة من هذه العوامل لإقامة الدولة الإسلامية هي ايران.

كان القرن الرابع الهجري من ابرز الحقبات التي تضمنت تطورات اجتماعية وثقافية وادبية كاملة الجوانب. حاول العلماء الإسلاميين الذين عاصروا هذا القرن أن يضيفوا علوم الاغريق القديمة والامم الأخرى إلى علومهم وان يضخوا بحياة جديدة إلى الإرث العلمي الاغريقي القديم الذي كان يمر بحالة اضمحلال. وقد ظهرت في هذا العصر شخصيات علمية مرموقة الذي صديها لم ينحسر في حقلها الثقافي فحسب وانما تجاوز الحدود ليصل ذلك إلى اوروبا القرون الوسطى ايضاً. اثنان من الشخصيات التي كانت هي الابرز في عصرها في انتاج الادب و حبهم للعلم و كان لهم الاثر البالغ في تقدم العلوم العقلية والنقلية و إحداث النهضة العلمية و التعليمية و ازدهار سوق العلم والمعرفة هما ابن العميد وإبن العباد. و اصبحت العديد من المدن الأيرانية قاعدة لنشر و ترويج العلم والادب و اصبحت بلاطات الحكام تموج بالشعراء والادباء. هذان الوزيران الكفوئان بالاضافة إلى خدماتهم للمذهب الشيعي، خدموا ايضا الادب والثقافة والحضارة الاسلامية خدمة رائعة ما ادي ذلك إلى ترويج و إزدهار مختلف العلوم فاصبحت علوماً كاملة. إن فهم العلوم المختلفة والتعرف على الادباء وتطبيق طريقتهم كنموذج في الحياة الفردية والاجتماعية يؤدي إلى الازدهار وسيكون مصدرا لإسعاد الإنسان. من المأمول ان تكون هناك ارضية مناسبة وحيوية لتصبح الاساتذة مشجعين لمناهج تلقي المعرفة وحب العلم، بحيث يصبحوا اسوة لتشجيع تلقي العلم والمعرفة ليشق نور العلم مساره مرة اخرى وحتى اكثر من الماضي.

إن حياة الرجال العظماء كباقي العظماء تكون هي تبعًا للبيئة المعيشية والحياة وإن العوامل وظروف الزمان والمكان لها الاثر المباشر في وضعهم المعيشي، لذلك اذا ما اراد أحد ان يدرس آثارو احوال هؤلاء العظماء والمشاهير لا يجد امام نفسه سبيلا الا أن يبحث

في اوضاع وأحوال العصر الذي عاشوا فيه. واذا بعض من هؤلاء المشاهير واتباعهم في العلم والادب كانوا في السياسة ورجال دولة مؤثرين فتصبح دراسة حياتهم اكثر ملحةً حيث هذه الدراسة لحياتهم تسلط الاضواء على اسباب سلوكياتهم وتصرفاتهم وحتى بعض مزاجياتهم وخصائصهم الحياتية. الاستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الوزير العالم الشيعي المذهب الذي سيرته الحياتية واعماله كانت من عوامل النهوض بالأدب العربي، هو من الرجال المشاهير في القرن الرابع الهجري الذي حياته السياسية والادبية بأكملها في فترة حياته في الماضي وتدبيره وسياسته في هذا الزمان كانت بالغة التأثير.

التعريف بابن العميد

مسقط رأسه كان في مدينة قم وامضي طفولته في هذه المدينة ووفقا للثعالبي غادر قم وتلقى العلوم في مدينة ري لكن ورد في تأريخ قم بأنه مع والده كانوا في مدينة خراسان ومن ثم جاء إلى مدينة رى وبلغ المكانة العالية في خدمة البويهيين. على اية حال ليس هناك الكثير من المعلومات الدقيقة حول حياته و فترة شبابه. (القمي، ١٣٨٥، ص٥٨)

الاستاذ الرئيس ابوالفضل محمد بن عبدالله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد وزير ركن الدولة الديلمي هو من كبار وعظماء القرن الرابع الهجري. لا خلاف في اسمه ونسبه و كنيته لكن عام ولادته لم يتأكد منه بعد في البحوث و ليس محددا. وحتى ابن مسكوية الذي تحدث عن ابن العميد بإسهاب في كتابه تجارب الامم لم يشر إلى عام ولادته لكن بما أن جميع المصادر ذكرت وفاته بعام ٣٦٠ للهجرة القمرية وابن الأثير كتب بان سنين عمره عند وفاته كانت تتجاوز الـ ستين عام، لذلك تأريخ ولادته يكون مابين عام ٢٩٠ إلى ٣٠٠ من الهجرة القمرية و ايضاً لكونه تبوء مقاليد الوزارة بعام ٣٢٨ و في هذا العام اذا كان عمره ٣٠ عام على أقل تقدير فولادته قد تكون حدثت بعام ٢٩٨ للهجرة القمرية. (فاروخ، ١٩٨٤، ج ٢، ص٥٠٠)

كان والد أبو الفضل ابن العميد، أبو عبدالله الحسين بن محمد، ايضا من الكتاب وعلى حد قول الثعالبي في كتابه " يتيمة الدهر" كان احد كتاب ما كان بن كاكي وفي عام ٣٢٩ هجري قمري الذي قتل ما كان في الحرب، اقتيد جمع من كبار الديالمة كأسراء حرب إلى

مدينة بخارى ووالد ابن العميد ايضا تم أسره معهم. صاحب تاريخ طبرستان يقول:

((قرأت في كتاب يتيمة الدهر هكذا بأن في هذا التأريخ كان والد الاستاذ ابن العميد محمد القمي الحسيني المعروف بـ "كله " الذي كان من افاضل العالم، كان وزيرا لـ ماكان وكاتبه، اصطحبه معاه إلى بخارى و حاكم بخارى قام بإجلاله وإعزازه وبقي هناك حتى نهاية حياته.)) (مراجعة: ابن خلكان، ج١، ص٣١٥؛ مدرس، ١٣٦٩، ج١، ص٣٦٤)

كتب ابن خلكان عن ابن العميد بان" العميد" كان لقب والده الذي اهل خراسان كانت تلقب وكلاء الحكومة. و في جامعة السامانيين كان يلقب رئيس ديوان الرسالة بـ" خواجه عميد". وكان هذا اللقب رائجا ايضا في عهد الغزنويين بحيث عندما السلطان مسعود الغزنوي عين بوسهل الحمدوي للمختارية منحه لقب " الشيخ العميد". (البيهقي، ١٣٧١، ص٥٠٢)

مذهب ابن العميد

كان ابن العميد شيعي المذهب لكن كتب التأريخ و المصادر لم تشير بصراحة إلى مذهبه وفي اعماله النثرية والمنظومة ايضا ليست هنالك إشارات إلى شيعيته لكن الكثير من القرائن والشواهد تثبت ذلك، منها ان البويهيين كانوا شيعه و بذلوا الكثير في ترويج المذهب الشيعي. كان المذهب الشيعي منتشرا في ولاية مازندران وطبرستان بواسطة السادات الزيديين منذ منتصف القرن الثالث الهجري القمري وكانت هذه المناطق تعد من مناطق نفوذ وسيطرة حكومة البويهيين.من البديهي ان من كان وزيرا لملك شيعي المذهب لمدة ٣٢ عامًا ومسيطرًا على مفاصل الأمور بكل اقتدار و نفوذ لم يكن مختارًا لغير التشيع مذهبًا له. إنه كان قد ولد في بيئة شيعية اي في مدينة قم وترعرع في هذا المذهب. إضافة إلى ذلك إصدقائه ومن حواليه كانوا أكثرهم من الشيعة كـ صاحب بن العباد. (امين العاملي،١٤٠٣، ج٣، ص٣٣٢؛ وايضًا مراجعة: ابوحيان التوحيدي،١٩٩٨،ص٣٢٥)

وزارة ابن العميد

اختير ابن العميد لوزارة ركن الدولة الديلمي بعام ٣٢٨ للهجرة القمرية وبقي في هذا المنصب إلى حين وفاته عام ٣٦٠ من الهجرة القمرية وبالاضافة إلى توليه مسئولية الجيش، كان رئيساً لديوان الرسالة والكثير من الفتوحات تحققت تحت قيادته وبأمره وكان متنفذا

ومهيمنًا على كافة شئون الحكم وفي حقيقة الأمر كان صاحب قلم و سيف وكانت تنطبق عليه مقولة صاحب كتاب "تجارب السلف" بانه عظيم زمانه وكان في العلم والحكمة والمعرفة والادب والشعر والكتابة والفصاحة والبلاغة دُر الرئاسة و السيادة و في الذكاء و الفطنة وكان فريد زمانه. "تصرف ابن العميد طيلة وزارته بالنحو الذي لم تحدث بينه وبين ركن الدولة اية خلافات صغيرة حتى وجعل كل من حوله تحت طاعته حيث منذ هذا العام حكم ركن الدولة بكثير من الإستقلالية ووسع نطاق حكومته وتعتبر مجمل اعمال ابن العميد الحربية والسياسية كانت بين هذا العام حتى نهاية حياته لكن رغم ذلك كان قبل هذه الفترة يتمتع بنفوذ في حكومة ركن الدولة و كان صاحب يد فيها. (صفري، ٢٠١٠، ج٢، ص٣٨١)

حياة ابن العميد العلمية والأدبية:

بلا شك أن الاستاذ الرئيس ابن العميد يعتبر من كبار الشخصيات ومن نوادر الزمان وكان متبحرا في كافة المجالات السياسية والحربية وكافة العلوم والفنون، وجميع اساتيذ هذه الفروع العلمية كانت تطلق عليه "الاستاذ الرئيس" ويتلمذون تحت يده.كان ابن العميد يحظي بذكاء خارق وذاكرة قوية جدا وكان يعتبر من غرائب زمانه.

نشير الآن إلى قاعدته العلمية:

الهندسة، والهيئة، والعروض والقافية والنقد للشعر، بالإضافة إلى ذلك، كان يصنع بنفسه الأدوات والآلات ويستخدمها في الحروب أو في بناء العمارات، كما أنه كان رساماً بارعًا و كان يرسم اللوحات الجميلة. الاستاذ أبو الفضل العميد كان عالمًا بالنجوم والرياضيات ورصد عرض مدينة ري في عام ٣٥٠ هجري قمري ٣٥ درجه و ٣٥ دقيقة شمالية. ابن العميد كان ذو موقع ممتاز في علم المنطق والفلسفة والالهيات و وما كان لأحد أن يتجرأ و يزعم بالاستاذية في هذه العلوم و كان الجميع تتباهي بالتلمذ منه. بلا شك انه كان في مرتبة عالية في علم التفسير وتأويل القرآن وحفظ المشكل والمتشابه والعقائد المختلفة للفقهاء والعلماء ومن خلال الكتابات واقوال المؤرخين والعظماء يظهر بأنه كانت له طريقته الخاصة في اللغة وكان يشتهر بها. (مدرس،١٣٦٩، ج٨، ص١٢٦، وأيضاً مراجعة: آدم متز،ج١، ص٢٧٠؛ الثعالبي النيشابوري، ١٢٨٢، ج٣، ص١٦٤، ابن مسكوية،١٣٧٦، ج٣، ص٢٧٦، ابوحيان التوحيدي، ١٩٩٨، ص٣٢٨).

خصائص ابن العميد في العلوم الأدبية:

بحسب تصديق كافة معاصروه كان ابن العميد متفوقًا على الجميع في العلوم الادبية ونقد الأشعار والتطلع على الدواوين المختلفة وكان استاذا مطلقًا والادباء والفضلاء كانوا منتفعون من معين علمه وادبه وكانوا ينحنون له إكراما وتعظيمًا لعلمه. وذاكرته خاصةً كانت محط الإعجاب.

يقول ابن مسكويه: ما كان ديوان للشعر الا و كان ابن العميد يحفظ اشعاره تماما وذكرنا نقلا عن أبو الحسن على بن قاسم بان والده اختار ثلاث قصائد من ديوان كميت ظنا منه بأن ابن العميد لا يعرفهما وعندما قرأها قال ابن العميد لوالده بأنك لم تقرأ عدد من الأبيات و هو قرأها و ثم خجل والدي.

بعد ذكره هذا قال أبو علي: ما شاهدته بنفسي هو ان لم تنشد أشعارا في محضره إلا و كان يحفظ أشعار الديوان و كان يعرف الشعر القديم والحديث والغريب على حد سواه وكان يعرف الكثير من أشعار الشعراء المجهولين ويحفظ أشعارهم. سئلته كم بذل جهود ومعاناة و زمن طويل لحفظ هذه الأشعار فأجاب:

لم يكن متكلفًا في حفظ هذه الاشعار و لم يتحمل معاناة في ذلك وإنما سمع جميعها لمرة واحدة فقط وكان صادقًا في قوله وثبت لي شخصيا في حالات عديدة. (سجادي، ١٣٦٦، ص٧٥).

ابن العميد كان متبحرًا واستاذا في علم النحو والإشتقاق وعلم العروض وكان يتميز بأسلوب خاص في نقد الشعر. وحسب نقلهم عن صاحب بن العباد:

في يوم من الأيام كنا في محضر أبو الفضل ابن العميد وقرأت قصيدة الدالية لأبي التمام الذي كان هذا مطلعها:

شـــهدتُ لغـــدٍ افـــوتُ معـــانيكم بَعـــدِي ومَحَـــت كمـــا مَحَـــت وشـــايعٌ مـــن بـــرد

هل ترى إشكالًا في هذا المطلع؟ قلت لا.

قال: تكرار ((محت)) يكون مستثقل ومن ثم قال إقرأه ثانية، فقرأت البيت إلى أن وصلت في المدح إلى هذا البيت. (نفس المصدر ٧٦)

كـــريمُ متَـــي أمْدَحَـــهُ أمدَحَـــهُ والـــوَرَى مَعِـــي ومَتَـــي مالُمْثِـــهُ لُمثِـــهُ وَحـــدِي

وقال مرة أخرى هل ترى اشكالا في هذا البيت؟ قلت بلا، المدح جعل مقابل الكرم بينما التطبيق لم يكن هكذا حيث الهجو أو الذم يكون مقابل المدح مع انه ذكر هذا البيت أيضاً:

"مـتى و مـتى مـا ذمتـه ذمتـه وحـدي"

قال: و هل لاحظت اشكالًا آخر؟ قلت لا اعلم.

قال: الشعر الرائق والسليس هو ان يكون حروف الفاظه خالية من الثقل والتكرار ومفردة " أمدحه" مع الجمع بين حروف الحاء والهاء الحلقية يعتبر خارج عن الاعتدال.

قلت: هذا التدقيق لا يدركه الا من كان مستقيما بطبعه السليم اومن بلغ اقتضاء غوامض العلوم. (نفس المصدر، ص٧٦ وايضا مراجعة: ابوحيان التوحيدي، ١٩٩٨، ص٣٨٧ و ٣٤٣).

وأيضاً صاحب بن العباد يقول بان ابن العميد في نقده للشعر كان يلاحظ الحروف والكلمات ايضًا وما كان يرتضي فقط بتهذيب المعني حتى يطلب القوافي والاوزان. عبارات صاحب بن العباد هي هكذا:

((فأنه يتجاوز في نقد الابيات إلى نقد الحروف و الكلمات ولا يرضى بتهذيب المعني حتى يطالب بتغير القافيه والوزن)) (ابن مسكوية، ١٣٧٦، ج٢، ص٢٧٧)

من الوزراء الذين كان ابن العميد مرتبط معهم مباشرة ويراسلهم هو أبو محمد حسن بن هارون المهلبي الذي تم تنصيبه لوزارة معز الدولة الديلمي في عام ٣٣٩ الهجري القمري وكان من الفضلاء والعلماء و غيره ابوالفرج على بن الحسين بن هندوس الذي كان من كتاب ديوان عضد الدولة.

بغير الأمراء والوزراء كان اغلب معاصري ومعاشري الاستاذ الرئيس ابن العميد من العلماء والادباء والشعراء وكانوا يحضرون في محضره وكانوا أكثر صلة معه. (الثعالبي النيشابوري،١٢٨٢، ج٣، ص١٦٤)

أعمال ابن العميد:

مع الأسف لم تبقي اعمال تدوينية منظومة او منثورة من ابن العميد وفي بعض كتب القدماء فقط ذكرت بعض من اعماله وما لدينا الان من اعماله هي مراسلاته وأشعاره المتناثرة من ضمنها، التأريخ، ديوان الرسائل والمذهب في البلاغات، و "الخلق والخلق" الذي مازالت بشكل مسودة و فارغ الحياة. (ابو حيان التوحيدي، ١٩٩٨، ص٣٢٨)

شعر ابن العميد

لم تكن أشعار ابن العميد بمستوي نثره لكن بحسب اقوال كبار الادب والفن ومن عاصره انه كان يكتب الشعر جيداً وكانت تلك من فضائله. كان لابن العميد جلسات مشاعرة مع الشعراء المعاصرين وفي بعض من هذه الجلسات كان هناك سباق القرائح للقريحة ألشعرية وكان يشارك بها وحصلنا على نماذج من ذلك نشير إلى بعض اشعاره:

قصيدة كتبها إلى أحد الكبار ثلاث ابيات من مطلعها كالتالي:

قد ذبتُ غيرَ حشاشةٍ و دماءٍ ... مابينَ حرِ هوَي وحرِهواءِ

وجفا خلٌ كنتُ احسبُ انَه ... عُيوني على البأساءِ والضراءِ

أبكي و يضحَكهُ و بُكاي و لا أرَى ... عجباً تحاضرُ ضحكه وبُكائِي

والبيتين الأخيرين هما:

فلو أنَ ما أبقيتَ مِن جَسَدِي فَدَي ... في العينِ لم يمنعْ مِن الاعضاءِ

فلاعْضَلَنَ مودتِي مِن بعدِها ... حتى ازواجُها من الاكفاءِ

من الذين كان لأبن العميد معهم مراسلات شعرية هو ابن خلاء القاضي الرامهرمزي الذي كان الاستاذ يرسل له الاشعار وهو كان يرد عليه بالشعر حيث في احدي المرات عندما ارسل ابن خلاء إلى إبن العميد هدية مأكولات ووصفها للأستاذ، كان الأستاذ في فراش المرض وقدمت له، ثم كتب لابن خلاء:

قُل لابنِ خَلاءِ المُفضِي إلى أمدٍ ... فِي الفَضلِ بَرَزَ فيه اي تَبريزِ

يعدِي اهتزازَك للعُياءِ كلُ فتًى ... موخرٍ عن مدَي الغاياتِ محجوزِ

ماذا ارَدتَ إلى مَنهوضِ نائبهٍ ... مدفعٍ عَن حمَي اللذاتِ ملهوزِ

هــززتَ بالوَصــفِ فِــي حُشاشَــه قرَمــاَ ... مــــازالَ يهتــــزُ فيهـــا غـــيرُ مهـــروزِ

مــا كنــتَ لــولا فســادُ الحســنِ تامــلُ فِي ... جــنسٍ مــن السـمَنِ فِي دوشــابِ شــهريزِ

مــــاذا الســــماعُ بتقــــريظٍ وتزكيــــهٍ ... وقــــد نجلَــــت بمــــذخورٍ ومكنــــوز

(سجادي،١٣٦٢، ص ١٠٨ تا ١٠٩)

إضافة إلى ذلك نقل الثعالبي ايضًا ابيات غزلية وحزورات حول فاكهة السفرجل والزهرة الحمراء،و في غناء القوشي يقول:

اذا غَنــــــانِي القوشــــــي يومــــــاً ... وعَنــــــانِي بِرويتِــــــه وضَــــــربِه

وَدَرَت لــــو أن ادني مثــــل عَينِــــي ... هنــــاك وأن عَينِــــي مثــــلُ قبلِــــه

في كتب الادب والبلاغة والمعاني والبيان هناك بيتين من ابن العميد وردت في باب تناسي التشبيه والاستعارة وايضا الاستغراب:

قامَــــتْ تُظَلِّلُنِــــي مــــن الشَــــمسِ ... نفــــسٌ اعــــزَّ علــــى مــــن نفسِــــي

قامَــــتْ تُظَلِلَنِــــي مِــــن عجــــبٍ ... شمــــسٌ تُظَلِّلُنِــــي مــــن الشَــــمسِ

(نفس المصدر، ص١١٠ تا ١١١)

نثر ابن العميد:

عظمة مقام ومكانة الاستاذ ابن العميد تكمن في كتاباته اكثر من اي شيئ آخر وكان في الكتابة والمراسلة يعتبرونه استاذا و يلقبونه بال " جاحظ الثاني". كانت لأبن العميد طريقته الخاصة في النثرومن بعده قام البعض ک ابوبكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمداني يقلدانه او يقتبسان منه في بعض الاحيان. موقعه وشهرته في الكتابة بلغت مرتبة حيث اشتهر بخاتم الكتاب العرب و قيل في مقامه:

((بدئت الكتابه بعبد الحميد و ختمت بابن العميد)) أو ((فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد))

(الثعالبي النيشابوري، ١٢٨٢، ج٢، ص١٨٣؛ و ايضًا: مافروخي،١٣١٢، ص١٠٧)

عندما نلاحظ نثر ابن العميد ندرك بان الحرية هي الوجهة الغالبة في شعره ونلاحظ

أيضًا بعض الاحيان ملتزما بالسجع كما هو يقول:

((أنا أشكو إليك- جَعلني الله فداك- دَهراً خؤوناً غَدوراً، و زَماناً خُدوعاً غروراً، لا يمنح ما يمنح إلا ريث ما ينتزع، و لا يبقي فيما يهبُ إلا ريث ما يرتَجع، يبدو خَيره لُمَعا ثم ينقَطع و يحلو ماؤُه جُرعاً ثم يمتَنع و كانت منه شيمةً مَألوفةً و سَجيةً معروفةً، أن يشفعَ ما يبرمه بقربِ انتفاض، و يهدي لما يبسُطه و شك إنقباضٍ و كنّا نَلبسُه على ما شَرط و إن ما شرط و إن حافَ منه و قسط، و نرضي على الرغم بحُكمه و نَستَئم بقصده و ظلمه، و نعقدُ من أسباب المَسره أن لا يجئ مَحذوره مُصمتاً بلا إنفراج، و لا يأتي مكروهه صرفاً بلا مزاج، نتعلَّلُ بما نَختلسُه من غَفَلاته، و نَسترقه من ساعاته..)) (القيرواني، ج٢، ص ٢٤٤)

رسائل ابن العميد:

لأبن العميد الكثير من المراسلات السلطانية والإخوانية لكن من بين الكثير منهم لدينا نماذج من الرسائل التي نقلتها الكتب الذي يستعرض فيها الكلمات كـ شاعر عذب ويستعرض فيها المضامين الشعرية.

في القرن الرابع الهجري كان الغزل يستعمل في النثر بالنحو الذي رسائل العشق والغرام اقتربت إلى افضل القصائد التشبيبية وعلي سبيل المثال نستعرض هذه الرسالة لابن العميد:

((سَألتَني عَمَّن شَغَفَني و جُدي به، و شَغَفَني حُبّي له، و زَعَمتَ اني لوشئتُ لذَهلتُ عنه، أو لو أردتُ لاَعتَضتُ منه زَعماً لعمرأبيك ليس بمَزعمٍ كيف اسلوعنه و أنا أراهُ و أنساهُ و هولي نَجاه، هو أغلبُ على، و أقربُ إلى، من أن يرخي لي عِناني او يخليني و إختياري.... و هو جاري مُجري أنروح في الاعضاء،....))

ابن العميد رقى كتابة الرسائل واوصلها إلى ألأمام و إلى أكمل وجه وحفظ عزة القلم والكتابة و لم يجعل منها وسيلة للكسب. رسائله الاخوانية تتحدث عن الصفاء والمحبة وطيبة النفس والحكمة ولم يتلاعب بالالفاض عن اللهو واللعب وإنما كان يستعمل الكلمات بتفكير متمكن ومعمق وبحكمة بعيدة المدى. (مافروخي،١٣١٢، ص١٠٧)

إخوانيات ابن العميد:

ما وصلت لنا من الرسائل الإخوانية لإبن العميد ومراسلاته مع اصدقائه تتحدث تبحره وقوته و كماله في تحرير الكلمات وإتقانه الكتابة بالعربية. جزء كبير من هذه الرسائل وردت في كتاب زهر الاداب للحصري القيرواني وهي مراسلات ابن العميد مع معاصروه ومعظمها ترتبط بابن خلا القاضي وابوعبدالله الطبري. (سجادي، ١٣٦٢، ص ١١٧ تا ١١٨)

أجزاء من رسالة ابن العميد إلى خلاء القاضي: ((من استرداءه و سترظماءه بعد عليه أن يبل من غلله و يشفي من علله قد هاج لي شوق اليك استخف جوانحي واستهزها و هد جوارحي و هزها و لا شفاء الا قربك ومجالستك و لا دواء الا دنوك وموانستك ولا وصول إلى ذالك الا بزيارتك او استيزارك فأن رأيت ان توثر اخفها عليك و تعلمني آثر هما عندك فعلت ان شاء الله تعالى)). (نفس المصدر، ص١٢١)

رسالة أخرى له كتبت ردا على رسالة أبو عبدالله الطبري تحدث فيها عن الاشتياق والمحبة: ((وصل كتابك فصاد فني قريب العهد بانطلاق، من عنت الفراق، وواقفني مستريح الاعضاء والجوانح من الاشتياق، فأن الدهر جري على كلمه المألوف في تحويل الاحوال، ومضى على رسمه المعروف في تبديل الاشكال..)).

في هذه الرسالة ابن العميد يذرف دموع الشوق و الكثير من معانيها اقتبسها من الأشعار وأيضاً من قصيدته لكنه اقتبس من الاشعار بصورة لا يمكن كشفه بسهولة. (نفس المصدر، ص١٢٠)

وفات ابن العميد

وفق ما نقله أبو علي مسكوية الذي كان يرافق ابن العميد في سفرته الأخيرة، يقول بأن ابن العميد قد توفي في ليلة الخميس الموافق لـ السادس من شهر صفر لعام ٣٦٠ هـ - قـ في مدينة همدان وجميع المؤرخين سجلت عام ٣٦٠ هـ -قـ، و ابن خلكان ذكر شهر محرم او صفر وانه تردد في محل وقوع الوفاة بانه قد وقع في مدينة ري او بغداد. لكن أبو علي مسكويه قال بالقطع ان ابن العميد توفي في همدان. (ابن الأثير، ج٨، ٦٠٥، وايضاً: امين العاملي، ١٤٠٣، ج٣، ص١٤٠)

في وفاة ابن العميد كتب بانه قد توفي بسبب مرض النقرس وما كان بإمكانه ان يجلس على الحصان عندما كان متجهًا صوب حسنوية. بالاضافة إلى مرض النقرس كان ابن العميد يعاني ايضًا من مرض القولون وهذا القول قريب إلى الصحة بشكل كبير حيث صاحب كتاب تجارب الامم يقول:

((لا فراطَ علة النقرس و غيرها عليه)) (ابن الأثير، ج٨، ٦٠٦، وايضًا مراجعة: ابن مسكويه،١٣٧٦، ج٢، ٣٠٣)

التعريف بـ صاحب بن العباد:

الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد الطالقاني الاصفهاني ولد عام ٣٢٦ هجري قمري في منطقة طالقانجه في اصفهان. (ابن خلكان، ١٣٦٤، ج١، ص٤١٣)

كان محل ولادته موضوع خلاف بين المؤرخين بأنه ولد في قزوين أو طالقان أو استخر في مدينة فارس. له لقبين: "الصاحب" و "كافي الكفاة ". يقال له "الصاحب" لسبب أنه كان مصاحبًا وتلميذا لأبو الفضل بن العميد أو كان مصاحبًا لأمير مؤيد الدولة الديلمي. لقبه الآخر " كافي الكفاة " اي كفائته في قضاء شئون الاخرين. (مراجعة جعفريان،١٣٨٧، ج١،ص٢٠؛ اديب، ١٣٧٥، ص١٨الي٣٨)

والده هو أبو الحسن العباد كان كاتبًا ووزيرًا لركن الدولة الديلمي، ومات في عام ٣٣٥هـ - ق ووالدة صاحب تولت رعايته حين كان في التاسعة من عمره. بعد أن أكمل صاحب تعليمه للمقدمات اتجه إلى تلقي العلوم الادبية والفقه والحديث والتفسير وأسس المذهب والكلام.

في عام ٣٤٧ هـ - ق عندما كان صاحب بن العباد في شبابه اختاره ابن العميد ليكون كاتبًا لمؤيد الدولة قائم مقام اصفهان و تحت رعاية هذا الوزير الشهير أكمل تلقيه فنون الادب و اصبح متفوقًا على اقرانه في الكتابة و التحرير والفصاحة والبلاغة والنظم والنثر. (مراجعة ياقوت الحموي،١٩٩٥، ج٤، ص١٨٩٣؛ بهمنيار، ١٣٤٤، ص٣٧)

بسط صاحب مائدة العلم والادب في اصفهان ودأب على نشر المعرفة والفضل وتشجيع الفضلاء والعلماء و جمع من حوله الكتاب والشعراء واصبح ديوانه مجلسًا للعلم والادب وملتقي للعلماء والادباء. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ج٤، ص١٨٩٣)

مدة إقامة ورئاسة صاحب بن العباد في اصفهان كانت منذ عام ٣٤٧ إلى ٣٦٦ هـ - قـ الذي كان العام الأول لوزارته واستمرت لـ تسعة عشر عاماً. في عام ٣٥٩ هـ - قـ توفي أبو الفضل بن العميد في همدان الذي كان استاذا و مربيًا لصاحب واختار ركن الدولة ابنه " أبو الفتح " الذي كان شاباً فاضل واديب وكاتب مقتدر لكنه قليل الخبرة و مغرور ليتولي الوزارة بعد والده وبقي وزيراً حتى عام ٣٦٦ هـ - قـ. وفي العام نفسها اختير صاحب بن العباد وزيراً عاماً لمؤيد الدولة. (بهمنيار، ١٣٤٤، ص٤٠)

فترة حياة صاحب بن العباد كانت ثمانية وخمسون وثلاث أشهر ومدة كتابته في وزارته في اصفهان و ري وجرجان كانت احدى وثلاثون عام. (نفس المصدر،ص٥٣)

مذهب صاحب:

المرحوم صاحب كان على مذهب الشيعي الاثني عشري وإنما كان مروج و مؤسس لهذه الطريقة الحقة و في زمانه استقامت قواعد هذا المذهب بهمته و مؤازرة حكام الديالمة.

الكثير من كبار العلماء والمؤرخين صرحوا بشيعيته. (مراجعة الاميني،١٣٦٨، ج٧، ص١٢٨؛ امين،١٤٠٣، ج٣، ص٣٥٣؛ الثعالبي النيشابوري،١٢٨٢، ج٣، ص٢٤٧)

١- " السيد الرضي " انشد قصيدتان في مدح صاحب احداهن ثلاثة وسبعون بيت والثانية اربعة وثمانون بيت يصرح فيهما وبصورة متكررة إلى مذهب صاحب الشيعي.

٢- المرحوم " أخوند ملا محمد تقي المجلسي " يقول: ((افقه فقهاء الشيعة المتقدمين والمتأخرين.))

٣- يقول " الشيخ الصدوق في مقدمة كتابه " عيون أخبار الرضا":

((وصلت لي قصيدتان من قصائد صاحب برسم الإهداء سلاماً إلى صحن الإمام على بن موسي الرضا عليه السلام و ردا لمحبة المرحوم صاحب لعالم التشيع وبرسم الإهداء قمت بتأليف كتاب (عيونا الرضا) و ارسلته إلى محضره)) حيث لم أجد تحفة أفضل وهدية اكثر قيمة من هذا الكتاب لاداء الحق لشخصه لتوفي بقمة محبة المرحوم صاحب إلى علوم أهل البيت و محبة و ولاء هذه العائلة لأهل البيت. (اديب، ١٣٧٥،ص٤٥،٤٤)

الاثبات الأخر على تشيع صاحب هي ابيات أنشدها في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

نماذج من هذا الابيات: (اديب، ١٣٧٥،ص٥٤)

يـــا حَيـــدَرُ الشَّـــهم البَطَـــلُ	مَـــن لَـــم يشـــايعك يَظَـــل
اَنـــتَ الـــذي ولّـــي في	برائـــةٍ، فمـــا اعتَـــزَل
اَنـــتَ الـــذي عُقُـــودُهُ	يَـــومَ الغَـــديرِ لا تُحَـــل
اَنـــتَ الـــذي في الـــوَحي تَبـــيين	عُـــلاهُ قَـــد نَـــزَل
اَنـــتَ الـــذي نـــامَ علـــى	الفِـــراشِ في اللَّيـــلِ الوَجَـــل

خصائص صاحب العلمية:

صاحب بن العباد ما كان قانعا بتلقي فرعاً واحداً من الفروع العلمية وإنما كان صاحب رأي في الكثير من العلوم وفنون زمانه. كان صاحب ذو همة عالية و يعشق تلقي مختلف العلوم. العلوم التي كان يعرفها صاحب العباد هي كالتالي:

١- علم تفسير القرآن: لم يكن لصاحب تأليفاً مستقلًا في هذا العلم لكن في كتبه الأخرى استعرض بصورة ضمنية مواضيع و مسائل تفسيرية مهمة. وترك صاحب بن العباد تذكارا لنا في بعض من اعماله و كتبه من مواضيع مهمة حول المحكمات والمتشابهات في القرآن وخلق القرآن وقدمته و الكثير من الموضوعات.

٢- علم الحديث: بلغ صاحب بن العباد المرتبة العالية في هذا العلم و الكثير من الكبار مجدوا تبحره بهذا العلم.

٣- علم الكلام: لحسن الحظ في مجال علم الكلام هناك اعمال و تأليفات مهمة لصاحب بن العباد وصلت لنا و درجته في هذا العلم عالية جداً وواضحة. من خلال دراسة تأليفات صاحب في علم الكلام نلحظ بأنه كان ذات معرفة كبيرة بهذا العلم.

٤- علم اللغة: اشتهار صاحب بن العباد و عظمته في هذا العلم أكثر من سائر العلوم و أكثر ما ركزت عليه اصحاب كتاب السير هو هاذ الجانب من حياته العلمية.

٥- علم النحو: تلقي صاحب بن العباد هذا العلم على يد السيرافي وابن فارس و ابي بكر بن كامل و غيرهم من اصحاب الرأي في هذا العلم و ترك من نفسه ايضًا آراء في علم النحو.

٦- علم العروض: كان لصاحب بن العباد باع طويل و ترك تأليفات في هذا العلم. خصم صاحب العباد اللدود، اباحيان التوحيدي الذي أنكر فضائل ابن العباد في الكثير من المجالات، مجده بالحسنى و يعترف بتبحره بهذا العلم.

٧- النقد الادبي: في هذا العلم ايضا كان لصحاب الفضل والكثير من التمكن وألف كتابًا في نقد أشعار المتنبي

٨- علم التأريخ: لصاحب بن العباد تأليفات في هذا العلم لكن ما وصل لنا كتابين فقط بعناوين " عنوان المعارف في ذكر الخلائف " و " أخبار عبدالعظيم الحسني ".

٩- علم الطب: كان لصاحب إشتياق كبير لتعلم و إدراك علم الطب و كانت له ايضًا تأليفات في هذا المجال. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ج٢، ص٦٦٣)

تأليفات صاحب إبن العباد:

مكتبة صاحب بن العباد في مدينة ري معروفة عند الجميع و بحسب قوله أن عدد كتبه تصل إلى مائتين و ستون الف مجلد..(غلامرضا فدايي العراقي، ١٣٨٣،ص٨٥و٨٦)

تنقسم مؤلفاته إلى ثلاث أجزاء:

القسم الأول: الكتب الموجودة

القسم الثاني: الكتب التي لم تكن موجودة لكن ذكر التأريخ عناوينها و نقل منها بعض النصوص.

القسم الثالث: الكتب التي فقدت وذكر التأريخ عناوينها فقط.

وأما المؤلفات التي موجودة: (آقا بزرگ الطهراني، ج٢٤، ص٤١٨؛ الأميني،١٣٦٨، ج٧، ص١٠٣- ١١٣؛ اديب، ١٣٧٥،ص١٥٩؛ الخوانساري، ج٢، ص١٧٦؛ ياقوت الحموي، ١٢٨٢، ج٦، ص٢٦٠).

١- الإبانَة عن مذهب العدلِ بحجج القرآن والعقل.

٢- كتاب الاقناع في العَروض وتخريج القوافي.

٣- الامثالُ السّائرةُ من شعر المتنبي

٤- كتابُ الكشف عن مَساوي شعر المتنبي

٥- كتاب التّذكرة،

٦- ديوان صاحب

٧- رسائل صاحب

٨- رسالة في احوال عبدالعظيم

٩- رسالة في الطب،

١٠- رسالة في الهداية والضّلالة

١١- عنوان المعارف وذكرُ الخلائف في التاريخ،

١٢- كتاب الفرق بين الضّاد والظّاء

١٣- المحيط في اللغة

١٤- المنظومة الفريدة

١٥- الروزنامجة.

صاحب بن العباد و الأدب العربي:

تعريف احد رجالات ايران المشهورة بأسم صاحب بن العباد في تأريخ الادب العربي يمتاز بأهمية خاصة. بحسب إعتراف المؤرخين و ائمة الأدب أن من أهم العوامل المؤثرة في التحول والتغيير الذي حصل في نظم و نثر الادب العربي في القرن الرابع، و تأثيرين منهما يعودن إلى صاحب بن العباد:

التأثير الأول هو انه طور وقام بترقية الشعر المنظوم والنثر العربي الذي كان قد أصابه

التنزل والكساد بعد قرن من الزمن والتأثير الثاني أنه قدم اسلوبا ابداعيًا جديدًا في كتابة الرسائل او الشعر والمنثور العربي. (بهمنيار، ١٣٤٤، ص١)

صاحب بن العباد هو وزير مؤيدالدولة وفخر الدولة الديلمي الذي بإعتراف عامة المؤرخين وائمة الادب كان يعتبر من كبار مروجي النظم والنثر العربي في القرن الرابع الهجري ولولا جهوده ومساعيه لم يرتقي و يزدهر الشعر العربي في هذا القرن بعدما كان يمر في عصر التراخي وقلة الإقبال.

كان صاحب بن العباد قد جعل نشر العلوم والمعارف والادب وترويجها من مراميه ومقاصده ومن خلال قدرته ونفوذ كلمته أتاح كل الوسائل الممكنة لتحقيق ذلك، و ما كان مقبوض اليدين في إكرام العلماء والفضلاء وكان كريمًا وسخيًا مع الادباء والشعراء ويبذل عليهم من الأموال ولذلك كان ديوانه مفتوحا و وجهة للعلماء والفضلاء وقبلة آمال المتكلمين..(نفس المصدر، ص٢٩)

من المواهب والفضائل التي تميز بها صاحب بن العباد ليس فقط أنه كان مروجًا للادب العربي فحسب و إنما كان يمتاز بأسلوب و طريقة خاصة في الكلام خاصة في القول المنثور ما أحدث تاثيرًا عظيما في ذلك و كان في إبداع الاسلوب والمنهج الجديد في الكتابة مستلهمًا من الجاحظ و استاذه ابوالفضل بن العميد..(نفس المصدر، ص١٨١)

في العصر الذي عاشه صاحب بن العباد ظهرت اساليب متنوعة في فن النظم لكن اهم هذه المناهج هي الاساليب الشامية والعراقية التي كانت تعتبر المناهج الرئيسية وبقية الاساليب فروع و متفرعات منها.

كان الاسلوب العراقي في ايران أكثر رائجا لكن الادباء و كبار الشعراء كانت ترجح الاسلوب الشامي على العراقي و كانوا يحاولون أن يقربوا أقوالهم إلى هذا المنهج..(نفس المصدر، ص١٨٣)

كان صاحب بن العباد يرى الالتزام بالسجع المطرف و المتوازي لازما في كتابة الرسائل و لتحسين الالفاظ و العبارات القصيرة كان يستعمل جميع الصناعات البديعية أيضًا.

اساس إبداعات صاحب بن العباد الإنشائية كانت مبنية على التسجيع اي بمعنى

الالتـزام بـالقوافي في فواصـل الجمـلات و الانسـجام بمعـني سـيلان العبـارات وإنطباعيـة الصناعات وائتلاف الالفاظ والمعاني و المساوات او الايجاز والابداع بمعني استعمال عدة صناعات ادبية في جملة واحدة، و هذه الصناعات في الاغلب بل في كل الفصول كانت ملحوظة في مقطوعاته النثرية..(نفس المصدر، ص١٩٩)

كان صاحب بن العباد اديبًا و مربيًا للأدباء وشبهوه مادحوه بهارون الرشيد الذي كان يحب أن يكون حوله دائما اللغويين والادباء. كانت له ايضًا مراسلات من اصحاب الاقلام كـ شريف الرضي، الصابي، ابن الحجاج، وابن نباتة. و كانت كتبه العلمية فقط يحملها اربعمائة بعير ناهيك عن كتبه الدينية..(آدم متز،١٣٩٣، ص١٢٦)

كان صاحب كأستاذه و مرشده ابن العميد داعمًا للتعليم والتعلم وكان بحق إحدى رجالات الادب ومن الثروات الثقافية. وكان كسائر الكتاب له قلمًا بارعًا في كتابة النثر وكتابة الشعر وجلب الكثير من الشعراء إلى البلاط..(جوئل ل. كارمر، ١٣٧٥،ص٣٥٦)

احدى الرجالات الأيرانية في تأريخ الادب العربي الذي يعتبر من العوامل المهمة في نشر وترويج اللغة العربية وألكثير من المؤرخين و كتاب السير اعتبروه المحيي والمجدد للأدب العربي بعد مضي قرن من الفتورهو صاحب بن العباد الذي عاش في القرن الرابع الهجري وكان من أكثر الوزراء والرجالات السياسية الأيرانية إحترامًا ومنزلةً. (امين، ١٤٠٣،ج٣، ص ٣٣٩).

في الادب العربـي تجـاوز صـاحب ابـن العبـاد الفصـحاء وبلغـاء العصـر في الفصـاحة والبلاغة واجتذب نظرة عشاق هذه الفنون من كل حدب وصوب. إنه في فترة حياته أوصل هذا الفن إلى أعلى درجاته و بهمته تحققت نتيجتان كبيرتان لنوع البشر وأهل الاسلام.

الاولى: لقد عرّف فصاحة وبلاغة القرآن الكريم الذي هي معجزة النبي ﷺ ما ميز هذا الكتاب على غيرها من الكتب السماوية والى حدٍ ما أفهم اهل الادب والفن و رفع من مستواهم الادراكي إلى مراتب عالية في فهم القرآن وأخبار ائمة الاطهار عليهم السلام.

الثانية: لحد ذلك الوقت ما كان للأدب اي موقع حقيقي في اللغة الأعجمية لكن الناطقين بالفارسية بعد زمن صاحب بن العباد، اتبعت منهجه و اوصلت الادب إلى موقعه الرفيع وهذه حقيقة واضحة كوضوح الشمس و كافة المؤرخين وصفوا ومدحوا ابن العباد. (اديب، ١٣٧٥، ص١٦).

نظرا إلى أن اهم ما قصدناه من كتابة هذه النصوص هو شرح التطور والتغيير الذي حصل في منهج و اسلوب صاحب بن العباد الكلامي في الادب العربي وإنتشاره، تطرقنا إلى قسم المنثور والمنظوم. أقام صاحب بن العباد حوزته العلمية والأدبية في مدينة ري كمدينة أصفهان و أجتمع من حوله نجوم الفضل والأدب كالقمر المضيئ بجوده وإحسانه واصبحت مدينة ري محطًا للأدباء والشعراء والكتاب ومعقلًا للعلوم و للثقافة. (بهمنيار، ١٣٤٤،ص٤٢)

نشر صاحب في اصفهان مائدة العلم والادب ودأب على ترويج العلم والمعرفة وتشجيع العلماء واختار الخواص منهم للمجالسة وتدريجيًا اعتلى اسمه بإنتاج العلم وأنشدت الشعراء في مدحه القصائد بالفارسية والعربية. (جمع من المؤلفين، ١٣٨٦، ج١،ص٣٨).

يمكن القول أن احد العوامل الهامة في ازدهار الادب العربي خاصة الشعر العربي في اصفهان وفي القرن الرابع هو صاحب بن العباد. صاحب بن العباد بتحيزه وبتعصبه تجاه العرب كان يحاول أن يقترب في شعره من الاسلوب الشامي حيث هذا الإسلوب قد حافظ على صلابته بسبب قرب جواره إلى شبه الجزيرة العربية في حال أن الاسلوب العراقي كان يمتاز بلطافة و رقة و صقل وجمالية خاصة نتيجة لمجاورته لأيران. كان صاحب بن العباد يحترم شعراء الشام أكثر من غيرهم وكان يكتب أشعارهم في دفتره الخاص وكان هذا الدفتر معه دائما. في النثر كان العباد ملتزمًا بالصناعات اللفظية أكثر من الشعر ولو أن نظمه ايضاً ماكان يخلو من الصناعات، و هناك قصيدة تتكون من سبعين بيتًا لم يستعمل بها حرف الأليف منسوبة له في مدح اهل البيت عليهم السلام وهناك قصائد أخرى في كل منها التزم بترك احد الحروف الهجائية. (من الباء إلى الياء) باستثناء حرف الواو الذي أنشد هذه القصيدة صهره أبو الحسن العلوي. كتب صاحب بن العباد الشعر في المدح والذم والوصف والتغزل والتشبيب والرثاء والهزل و غيرها و حتى في المدح بلغ اقصي درجات المبالغة. (الثعالبي النيشابوري، ١٢٨٢،ج٣،ص٩٤)

يقول الثعالبي في تعريف العباد:

كان العباد نادرة عطارد في البلاغة أحاط من حولها نجوم الأرض و نادري الزمن وابناء الكرم والسخاء، فوارس ساحات الشعر الذين فاق عددهم شعراء هارون الرشيد. (نفس المصدر، ص٢٢٥)

يـــا اصـــفَهانُ سُـــقيتِ الغَيـــثَ مِـــن كثَـــبٍ فَانـــتِ مَجمَـــعُ أوطـــاري وَأوطـــاني

سَـــقياً لأيّامِنـــا و الشَّـــملُ مُجتَمِـــعُ وَالـــدَّهرُ ماخـــائنني في قُـــربِ اِخـــواني

(آل ياسين، ١٤١٢،ص٢٠١)

نشر العلوم والأدب:

كانت إحدى سياسات صاحب بن العباد الهامة في فترة وزارته، تهيئة الأرضية لنشر العلم بين عامة الناس. استدعي العباد العلماء من بغداد إلى أصفهان لتوسيع ثقافة و ادب الناس. إنه كان يعلم اذا ما أراد ان يتطور اي بلد و يحظي باقتصاد زاهر فمن المطلوب ان يتحرر الشعب من سلاسل الجهل و أن يدرك ضياء العلم والفضيلة و على هذا بذل كل ما بوسعه لتحقيق هذا الهدف. (مراجعة، مافروخي،١٣٨٥، ص ٨٥؛ بابايي،١٣٧٣،ص١١٤)

لم يكن صاحب بن العباد مهتما وراغبًا فقط بنشر فنون الادب فحسب و إنما في العلوم والموسوعات الفكرية والمعارف العقلية والنقلية ورعاية العلماء أيضاً كان يبذل كل ما بوسعه وبالإضافة إلى ذلك شجع رواد العلم والمعرفة على تأليف الكتب ونشر المعارف وهو بنفسه أيضاً كرس جزء من وقته المليء بالإنشغالات لتأليف الكتب العلمية والأدبية والتعليم وتدريس طلاب العلم. (بهمنيار، ١٣٤٤،ص١١٩)

المتشابهات والمتفارقات

خصائص ومهارات ابن العميد و ابن العباد في العلوم

كان ابن العميد استاذا في العلوم الإلهية والحديث و العلوم القرآنية وأيضاً في الهندسة والعروض والقافية و نقد الشعر. كان من ضمن علماء الفلك والرياضيات و رصد عرض مدينة ري الجغرافية في عام ٢٥ هجري قمري ووجده ٣٥ درجة و ٣٥ دقيقة شمالية. و كان له أيضاً مقاماً رفيعا في علم المنطق والفلسفة والعلوم الإلهية و لم يكن في زمانه لأحد أن يتجرأ و يزعم بالاستاذية في هذه العلوم و كان الجميع يتباهي بالتلمذ تحت يده. (يتيمة الدهر، ج٣، ص١٦٤).

في تلقي العلم لم يجعل صاحب بن العباد نفسه منحسراً بفرع واحد من العلوم و كان صاحب رأي في الكثير من علوم و فنون ذلك العصر من ضمنها علم تفسير القرآن الذي ترك

من نفسه آراء حول المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم. كما انه في علم الحديث ايضاً بلغ مرتبة عالية و الكثير من الكبار مجدوا تبحره في هذا العلم. في علم الكلام ايضا كانت لديه معرفة كبيرة بهذا العلم و مرتبته العالية كانت واضحة في علم الكلام و معظم إشتهاره وعظمته التي تفوق سائر العلوم يعود إلى علم اللغة و كان محط الانظار. تلقي علم النحو من اساتذة كـ السيرافي وابن فارس وعلم النحو من ابي بكر بن كامل و ترك آراءاً في النحو.

و كان له باع طويل في علم العروض وترك من نفسه تأليفات في هذا العلم. وكان ذو فضل و مقدرة عالية في النقد الادبي وله كتاب في نقد أشعار المتنبي، وفي علم التأريخ وعلم الطب أيضاً له مؤلفاتات عديدة. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ج ٢، ص٦٦٣).

خصائص ابن العميد وابن العباد في الشعر

لم تصل مرتبة شعر ابن العميد إلى مرتبة نثره لكن كبار أهل الفن و معاصروه، كانوا يرون بأنه كان يجيد الشعر و هذه من فضائله و كانت له مشاعرات مع شعراء عصره و في بعض المجالس كانت تجري إختبارات للقرائح الشعرية و كان هو ايضاً يشارك فيها. (يتيمة الدهر، ج٢، ص١٨٣).

من المواهب و الفضائل المختصة بصاحب بن العباد هي إنه لم يكن ناشراً للادب فحسب وإنما كان له الاثر الكبير في إحداث منهج واسلوب الكلام المنثور وفي خلق منهج واسلوب جديد في الكتابة كان ملهماً من الجاحظ واستاذه أبو الفضل بن العميد. (بهمنيار، ٢٣٤٤، ص١٨١).

كانت قريحة و اذواق الشعراء والادباء في ذلك العهد تختلف عن بعضها و تبعًا لذلك أن الافكار والعواطف كانت ايضاً مختلفة وعلى هذا ظهرت أساليب في فن النظم من اهمها الأسلوب الشامي والعراقي بإعتبارهما الأسلوب الرئيسي و سائر الأساليب متفرعةً منها. صاحب بن العباد كان يتبع الاسلوب الشامي وفي كتاباته كان يحاول الإقتراب إلى هذا الأسلوب. (بهمنيار، ١٣٤٤، ص ١٨٣ و ١٨٢)

خصائص ابن العميد و ابن العباد في النثر

عظمة مرتبة ابن العميد و رفعتها تكمن في كتابته أكثر من اي شيء آخر وكان في

المراسلات يعتبرونه استاذا على الاطلاق و يلقبونه بالجاحظ الثاني. كان يمتاز ابن العميد بطريقة خاصة في كتابة النثر التي صارت تتبع من الأخرين كـ ابوبكر الخوارزمي و بديع الزمان الهمداني أو في بعض الحالات إقتبسوا منه. بلغت مرتبته في الكتابة إلى درجة صار يلقبونه بخاتم الكتاب و في مقامه قالوا:

((بدئت الكتابه بعبد الحميد و ختمت بابن العميد))(يتيمة الدهر، ج ٢، ص ١٨٣)

إنه ايضا كسائر الكتّاب وأهل الادب و مترسلي القرن الرابع الهجري استعرضوا إبداعاتهم في مجال النثر وإظهروا من أنفسهم منتهي الكمال في البلاغة.

كان لإبن العميد الكثير من المراسلات السلطانية والإخوانية لكن مالدينا منه الا نماذج منها و وردت في الكتب المختلفة بأنه كان يعبر عن المواضيع كشاعراً عذب الكلام وادرج فيها ذات نفس المضامين الشعرية. (شرح احوال و مؤلفات إبن العميد، ص ١١٧)

ما وصلت لنا من الرسائل الإخوانية ومراسلات إبن العميد مع اصدقائه تؤكد لنا إحترافيتة و قدرته و كماله في تحرير الكلمات و سيطرته على الكتابة العربية وعدد كثير من هذه الرسائل تم تجميعها في كتاب زهرالادب للحصري القيروان التي تشتمل مراسلات ابن العميد مع معاصروه واكثرها هي مراسلاته مع ابن خلاد القاضي وأبو عبدالله الطبري. (أبو اسحاق إبراهيم بن علي، زهر الأدب للحصري، ابن خلكان، ج١، ص١٣، ريحانة الادب، ج٢، ص٤٩).

الصناعات الادبية التي استخدمها ابن العباد في النثر كانت مبتنية على الكتابات الابداعية. التسجيع بمعني الإلتزام بالقوافي في فواصل الجمل والانسجام اي بمعني سلاسة العبارات و إثراء الصناعات الادبية وائتلاف الالفاض والمعاني والمساوات والايجاز والابداع اي بمعني استخدام صناعات ادبية عدة في جملة او عبارة واحدة. هذه الصناعات نجدها في جميع فصول و مقطوعاته النثرية. استخدم ابن العباد بدون اية تكلف صناعات لفظية ومعنوية أخرى في نثره. العباد في رسائله بأشعاره المنثورة اورد إستعارات لطيفة وتشبيهات بديعة وعليهذا يمكن القول بأن شعره المنثور من هذا الحيث يعلو على شعره المنظوم.

أكد و ألزم صاحب بن العباد في كتابة الرسائل على السجع المطرف والمتوازي ولتحسين

الألفاظ و تزيين العبارات القصيرة واستخدم الصناعات البديعية الأخرى واساس إبداعات صاحب بن العباد الإنشائية مبنية على التسجيع بمعني مراعاة القوافي في فواصل الجملات والإنسجام بمعني سلاسة العبارات وإنطباعية الصناعات وائتلاف الألفاظ والمعاني والمساوات بالأيجاز والإبداع بمعنى استخدام عدة صفات في جملة وعبارة واحدة وهذه الصناعات نلاحظها في غالبية الفصول و إنما في كافة قطعاته النثرية. (بهمنيار، ١٣٤٤، ص١٨٣ و ١٨٢).

النتيجة:

هذه الشخصيتان العلمية والأدبية اللذان خدما في منصب الوزارة كانوا اساتيذ في النحو والإشتقاق وعلم العروض وكانا يمتازان بطريقتهما الخاصة في نقد الشعر. عظمة ومرتبة أحداهما كانت في الكتابة والمراسلات أكثر من اي شيئ آخر وكان يعتبر استاذا بالاطلاق في هذا الفن و يلقبانه بالجاحظ الثاني وبلغت مرتبته إلى درجة حيث اطلق عليه ايضاً بخاتم كتاب العرب.

و الاخر إجتذب طلاب هذه الفنون من كل حدب وصوب في الادب العربي و الفصاحة والبلاغة. إنه اوصل مرتبة هذا الفن في عصره إلى اعلي مراتبه و من همته العالية يمكن إستخلاص نتيجتان كبيرتان استفاد منها البشر و أهل الاسلام.

الاولى: أنه نقل إلى حد ما فهم فصاحة و بلاغة القرآن الكريم الذي هو معجزة النبي محمد ﷺ.

الثانية: لم يكن للأدب اية مكانة في لغة العجم حتى ذلك الحين و لكن بعد عصر ذلك العالم، اتبع المتحدثون الفارسيون طريقته.

إنه ليس فقط كان مهتمًا بترويج فنون الادب فحسب و إنما ايضًا كان يهتم بالعلوم والمعارف العقلية والنقلية والعلماء و كان يشجع أهل العلم على تجميع الكتب و نشر المعارف.

قائمة المصادر المراجع

١- ابن اثير، عزالدين على، الكامل في التاريخ، ترجم عباس خليلي، شركه المساهمه الطباعه، مطبعه كتب ايران، بي تا

٢- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان، تحقيق دكتراحسان عباس،بيروت،(بي تا)

٣- اديب، عباسعلي، هديه العباد في شرح حال صاحب بن عباد، مطبعه صغير،تهران،١٣٧٥

٤- امين عاملي، سيد محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن امين، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣.

٥- آدام متز، تمدن اسلامي درقرن چهارم هجري، ترجم عليرضا ذكاوتي، مطبعه اميركبير، تهران،١٣٦٢

٦- آل ياسين،محمد حسن، ديوان صاحب، معهد قائم آل محمد(عج)، قم، ١٤١٢

٧- بابايي،سعيد، صاحب بن عباد وزيردين پرور، منظمه الدعايه الاسلاميه، قم، ١٣٧٣

٨- بهمنيار، احمد، شرح حال وآثار صاحب بن عباد، الجامعه تهران،١٣٤٤

٩- بيهقي، أبو الفضل، تاريخ بيهقي، تصحيح دكتر فياض، الجامعه مشهد، ١٣٧١

١٠- توحيدي، ابوحيان، الامتاع و الموانسه، قم،دارالنشر، ١٩٩٨

١١- ثعالبي نيشابوري، أبو منصور عبدالملك بن محمد، يتيمه الدهر،مطبعه حنيفه،دمشق،١٢٨٢

١٢- جعفريان، رسول، تاريخ تشيع درايران ازآغاز تاقرن هشتم، منظمه الدعايه الاسلاميه، قم،١٣٧٧

١٣- جمعي از نويسندگان، گلشن ابرار، پژوهشكده باقرالعلوم، مطبعه نورالسجاد، قم، ١٣٨٦

١٤- سجادي، سيد ضياءالدين، شرح حال واحوال وآثار ابن عميد، تهران، طبع پاژنگ،١٣٦٦

١٥- صفري، صلاح الدين، وافي بالوفيات، بيروت، دار الكتاب،٢٠١٠

١٦- فدايي عراقي، غلامرضا، حيات علمي در عهد آل بويه، تهران، مطبعه الجامعه تهران،١٣٨٣

١٧- فروخ، عمر، تاريخ الادب العربي، بيروت، دار العلم للملاعيين،٢٠٠٦

١٨- قمي، حسن بن محمد، تاريخ قم، مترجم حسن بن على قمي، قم، المكتبه آيت الله مرعشي، ١٣٨٥

١٩- قمي، نجم الدين ابوالرجاء، تاريخ الوزراء، مصحح محمد تقي دانش پژوه، تهران، معهد المطالعات و التحقيقات الثقافي، ١٣٦٣

٢٠- قيرواني، أبو اسحاق ابراهيم، زهر الآداب، بيروت، دار الجيل، بي تا

٢١- كرمر،ل.جوئل، احياي فرهنگي درعهد آل بويه، ترجمه محمد سعيد كاشاني، طبع الجامعة، تهران، ١٣٧٥

٢٢- مافروخي، مفضل بن سعد بن حسين، محاسن اصفهان، ترجم حسين بن محمد آوي، منظمه الثقافي المتعه البلديه، اصفهان، ١٣٨٥

٢٣- مدرس، محمد على، ريحانه الادب، تهران، طبع خيام، ١٣٦٩

٢٤- مسكويه، أحمد بن محمد، تجارب الامم، ترجم على نقي منزوي، مطبعه توس، ١٣٧٦.

٢٥- ياقوت حموي،شهاب الدين أبي عبدالله، معجم الادباء، صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.